تلك امانٍ قد يحققها الزمان وتأتي بها الحاجة اليها وتبرز بها الى عالم الحس والحقيقة غيرة الوطنيين وسخاء الكرماء لكن خير البر عاجلهُ

هذا موضوع يطرح في ميدان البحث وعسى ان يعيرهُ ادباء القطر التفاتهم وينظروا فيهِ برأيهم الصائب فما نقدم انما هو قطرة من بحر وكنوز الحقيقة ودررها لم تزل مخبوءة لهم وهم اهل البلاد يعرفون مواضع الضعف والشدة فيها ولم اتجاوز في البحث باب النظر في المسئلة بوجهٍ عام وانما قصدت تنبيه الافكار الى ما نحن في حاجة اليهِ ولا بدَّ ان يتلو ذلك ما يزيح النقاب عن الحقائق اذ الامور مرهونة باوقاتها والله علاَّم الغيوب

علم الجراحة في الحرب

لحضرة الدكتور وديع بريقاري طبيب مستشفى الزقازيق

لم يكتفِ جرَّاحو الانكليز بما نالوهُ من العلم والاختبار ولا ارتضوا بما لديهم من المال والشهرة ولا اقتصروا على معالجة الالوف الذين يعالجونهم في مستشفياتهم الكثيرة ولذلك ما كادت الحرب تنشب في جنوبي افريقية حتى تطوَّع كبارهم وتركوا رغد العيش وركبوا اشد الاخطار حبًّا بالانسانية وطمعًا بتوسيع نطاق الجراحة واستجلاء ما غمض من اسرار هذا الفن. وما كادت اقدامهم تطأ تلك البلاد حتى تسابقوا في العمل والجد ومواصلة الجرائد الطبية بكل جديد مفيد فكان لمقالاتهم شأن عظيم وفائدة كبيرة عدا ما افادوا بهِ ابناء نوعهم في ميدان القتال فكم من رجل انقذوهُ من مخالب الموت وكم من آلام خففوها ومخاطر استدركوها وامراض شفوها. وكم من طفل ابعدوا عنهُ اليتم وامرأة وقفوا بينها وبين الترمل. وها انا الخِّص بعض ما وقفتُ عليهِ مما استفادهُ الاطباء والجرَّاحون من هذه الحرب

رصاص موزر Mauser

رصاص موزر مخروطي الشكل ملبَّس بالنكل وهو اكثر انواع الرصاص استعمالاً في هذه الحرب وبهِ يصاب اكثر الجرحى. وقد مدحهُ الجراح تريفس الشهير لان ضررهُ اخف من ضرر غيرهِ فلا يهتك الانسجة الرخوة لعدم تمددهِ ولا يشوه الاعضاء. واصاباتهُ بلا ألم وتكاد تكون خالية من الخطر ولا تحتاج الاَّ الى علاج بسيط. وتتوقف شدَّة ضررهِ على المسافة التي يطلق منها فاذا اصاب الانسان عن بعد ١٥٠٠ متر الى ٢٠٠٠ متر اخترق الجزء المصاب كأنهُ ابرة اي ان الفتحة التي يدخل منها تكون ضيقة جدًّا كثقب الابرة وكذلك القناة التي

يسير فيها . ولكنهُ اذا اصاب عظم العضد عن ٥٠٠ متر او اقل كسرهُ وفتتهُ . اصيب احد الجنود برصاصة منهُ في السلاميتين المتوسطتين في خنصرهِ وبنصرهِ فاحدثت فيهما اربعة جروح صغيرة تم الشفاها على غاية ما يرام بلا تقيح وجبرت السلاميان من غير عاهة

وقد احصى بعضهم نتيجة الاصابات بهِ فوجد ان ثلثي المصابين يتمُّ لهم الشفاء في ثلاثة اسابيع والثلث الباقي يشفى في مدة اطول قليلاً . ويقول الجراح تريفس ان جروح هذا الرصاص تشفى بسهولة من غير تقيح وانهُ لم يشاهد حوادث بقي فيها رأس الرصاصة كما روى بعضهم . الاَّ ان مكاتب احدى الجرائد الطبية قال انهُ يوجد انواع أُخرى من رصاص موزر فعلها اشد من الرصاص المذكور آنفاً وفتكها اكثر ومنها نوع لا يمتد الشكل فيهِ الى طرف الرصاصة فيبقى من رأسها جزء بلا تليين فمتى اصاب رأسها جسماً صلباً تمدَّد واتسع وهتك الاجزاء الرخوة وفتت العظام مثل رصاص دمدم المشهور . ويقل ضرر رصاص موزر لسرعة سيرهِ وصغر حجمهِ ودقة رأسهِ ولذلك فهو يمرُّ بسرعة في البدن ويسير سيراً مستقيماً في الغالب وهذا هو السبب الاكبر لكون عواقبهِ حميدة غالباً . واذا اعترض سيرهُ عصب او وعاء دموي نتج عن اصابتهِ ضرر حسب اهميتهِ او حجمهِ وكذلك يشتدُّ ضررهُ اذا اصاب جسماً صلباً قبل دخولهِ البدن او عظماً قبل خروجهِ منهُ وتتغير حينئذٍ جهة فتحة الدخول او الخروج او جهتهما كليهما ويتغير سير الرصاصة ايضاً . وفتحة دخولهِ في الاصابات الاعتيادية مستديرة وفتحة خروجهِ شبيهة بثرم بسيط ويقل ضررهُ اذا حفظ غلافهُ سليماً ولذلك اعتاد بعض الجنود ان يزيلوا جزءاً من مقدم الغلاف ليسهل تمدُّد الرصاصة ويزيد ضررهُ

ورأى الجرَّاحون ان لا يتعرَّضوا للبحث عن الرصاصة في العمليات الجراحية ما لم تحدث اعراض تستوجب ذلك لانها تخرج من الجسم على الغالب من فتحة يصعب على الجراح الاستدلال عليها واذا بقيت فيهِ تكوَّن لها غلاف من غير ان تهيج الانسجة المجاورة

اللديت Lyddite.

اللديت قنابل صغيرة اشبه بالديناميت يتكوَّن منها عند انفجارها غاز كثيف يتمدَّد سريعاً ويهيِّج الهواء تهييجاً شديداً فيقتل الانسان ولو عن مسافة بعيدة بسبب لطم الهواء لجسمهِ ولذلك لا يُرى في اجسام الذين يقتلون بهِ آثار خارجية كالجروح والرضوض والكسور وانما شوهد في بعضهم انتقاب طبلة الاذن

كلام اجمالي في الجروح

مما يذكر بالشكر للجراحين في هذه الحرب انهم استوفوا وسائط التعقيم و ضادات الفساد

والفنوا العمل والمعالجة . وقد وجدوا ان الجروح النارية لا يصحبها الم يذكر حال حصولها ولا تكون الصدمة فيها شديدة ولا يحصل منها نزف كثير ما لم يصب احد الاوعية الدموية الكبيرة وفي هذه الحال يكون النزف الابتدائي قليلاً ولكن يعقبهُ في الغالب نزف ثانوي ولذلك قلما يموت مصاب في ساحة القتال بسبب نزف الدم

وسير الجروح حسن بوجهٍ الاجمال وتشفى غالبًا بلا تقيح حتى ان التقيح العميق والتهابات الانسجة الخلوية تكاد تحصل وذلك لان الجروح النارية صغيرة جدًّا والرصاص خالٍ من جراثيم الفساد ولا يدخل اجسامًا غريبة امامهُ الى داخل الجرح اما خلوهُ من جراثيم الفساد فلان طبقة الهواء اللاصقة به تزول عنهُ وقت مروره في البندقية واما دفعهُ للجسم الغريب فموقوف على نوع الملابس التي يخترقها فني الانسجة المتينة التي تلبسها الجنود الانكليزية عادة تكون النتحة التي تدخل منها الرصاصة شقًّا منتظمًا واما اذا كان النسيج مرنًا كالفلانلاً فقد يمكن ان تدفع شيئًا منهُ امامها الى الجرح . ولا تميل الجروح الى التقيح لان سرعة الرصاصة تمنع النزف الكثير في البداية فلا يفرز من جرحها افراز مصلي بل يبقى جافًّا تقريبًا وقد تقدَّم ان الرصاصة تكون معقمة فلا يبقى سبيل الى التقيح

ويُرى مما ذكر ان معالجة الجرحى في هذه الحرب كانت غالبًا على غاية السهولة والبساطة فيغسل الجرح باحد المحاليل المضادَّة للفساد ويوضع عليهِ غيار بسيط ولا بدَّ من ان يكون لتقاوة الهواء في ساحات القتال تأثير شديد في سرعة شفاء الجروح . قال العلاَّمة هنشنسن انهُ لم يذكر التاريخ حربًا كانت فيها الجروح سريعة الشفاء وسليمة العواقب مثل هذه الحرب وذلك مما يثبت تقدُّم علم الجراحة في هذا القرن وشدَّة اعتناء الجراحين . وقد ظنَّ ان كلمة جريح ستفقد بعد الآن المعنى المخيف الذي كان يفهم منها في الحروب السالفة فلا يحسب الجريح بعد الآن مفقودًا من الجيش ولا يعدُّ الجرحى بعد الآن مع القتلى كما كانوا يعدون قبلاً . وقد ثبت الآن ان ثلثي الجرحى ينالون الشفاء التام في اسبوعين . وان اصابات القلب هي الاصابات الوحيدة القتالة وهي سبب وفاة اكثر القتلى . نعم ان اصابات الدماغ شديدة الخطر ايضًا ولكنها لا تنتهي بالموت غالبًا . ولذلك يرجح انهُ اذا صنعت الحكومة دروعًا لجنودها توقى بها قلوبهم قلَّ عدد القتلى وخفَّت ويلات الحروب

جروح الراس

تعدَّدت اصابات الراس في هذه الحرب وكثر اختبار الاطباء فيها فتمكنوا من التوصل الى نتائج مهمة سيكون لها شأن كبير في جراحة الراس متى نشر الجراحون نتائج اعمالهم كلها .

وقد صادفوا نجاحاً عظيماً في معالجة الراس لم يكونوا يؤملونهُ واختلفت الاصابات من بسيطة مسّت الرصاصة فيها الجمجمة مسّاً الى بليغة غارت فيها الرصاصة في الرأس الى اعماق مختلفة او دخلت الراس وخرجت منهُ . ولا يخفى ان جروح الراس لا تخلو من الاهمية مهما كانت خفيفة حتى ولو كانت مقتصرة على الجلد ومعلوم ايضاً انهُ اذا مسّت الرصاصة الجمجمة مسّاً خفيفاً فربما نتج عنها كسور تفتتية بليغة في الصحيفة الباطنة لان الاصابة الظاهرة لا تدلُّ على مقدار الضرر الداخلي. وقد ثبت من الترفنة (فتح عظم الراس) في بعض الحوادث البسيطة ظاهراً وجود ضرر جسيم في الداخل وكان الداعي الى الترفنة ظهور اعراض دماغية . ويحكم الجراحون بوجوب الترفنة في كل اصابات الراس النافذة مهما كانت خفيفة لاستدراك الطوارىء الدماغية التي يمكن ان تطرأ على المصاب ولو بعد شفائهِ لوجود شظية عظمية او نحوها تهيج السحايا ولا يمكن الاستدلال عليها من سير الاصابة مهما كان سيرها حسناً فيكون الالتجاء الى الترفنة من باب التحفظ والاستكشاف قبل مرور الفرصة المناسبة وظهور الاعراض الخطرة التي تنتهي بالموت

وقد صادف الجراحون نجاحاً تاماً في عمليات الرأس الجراحية حتى اصبحوا لا يحجمون عن عملية من هذا القبيل وبقي عليهم ان يروا ما اذا كان الذين يشفون ويعودون الى الخدمة العسكرية يتأثرون من الشمس ويصابون بالرعن (ضربة الشمس) لانهُ ثبت بالتجارب ان الذين يشفون بعد آفة في رؤوسهم يكونون عرضة للرعن في البلاد المعتدلة الحرارة فكيف يكون شأنهم في البلاد الشديدة الحر

وقد شوهد انهُ اذا زاد انحناء سير الرصاصة عند دخولها الراس زاد ضرر الصحيفة الباطنة وقلما تخلو من بعض تفتت مهما انتظم سير الرصاصة ويكون الضرر اشد عند فتحة الدخول منهُ قرب فتحة الخروج . وقد عملت عملية الترفنة في اصابات عديدة بليغة انتهت بنتائج حميدة مثل استرجاع حاسة السمع وزوال شلل الاطراف واعادة النطق

جروح الصدر النافذة

مدح الاطباء عموماً سير جروح الصدر النافذة لان شفاءها يتم على الاكثر بسرعة وبلا اعراض على الاطلاق سوى نزف خفيف في بعض الحوادث من غير ان يتكرر . ويندر ان ينتج عنها ارتشاحات بليورية ولقد يكون مسلك الرصاصة غريباً في بعض الحوادث ومن ذلك ان عسكرياً اصيب برصاصة في اعلى الترقوة خرجت من الجهة الانسية من الفخذ المقابل والظاهر انها اصابتهُ وهو نائم على بطنهِ واجتازت تجويف الصدر والبطن . واصيب آخر برصاصة اسفل الضلع العاشرة اليسرى فاجتازت امام العمود الفقري بعد ان مستهُ وخرجت من الجهة المقابلة

اسفل الضلع السابعة وقد قال المصاب انهُ لا يذكر من الاعراض المهمة التي شعر بها اثر اصابتهِ سوى شعورهِ بفقد القوة من طرفيهِ السفليين ثم شعر ان القوة تعود اليهِ تدريجاً مصحوبة ببعض الم وكان كلما شعر بزيادة القوة ازداد شعورهُ بالالم . وقد تمَّ لهُ الشفاء

جروح البطن النافذة

اوضحنا قبلاً ان فتحة دخول رصاص موزر صغيرة جداً ويقول تريفس انهُ قد لا يُنتبه لها احياناً لصغرها

وفي بعض الاصابات نفذت الرصاصة الكبدَ او الكلية بلا اعراض مرضية على الاطلاق ونتج عنها احياناً انثقاب الامعاء كما علم من وجود دم في الغائط. واصيب احد الضباط برصاصة اجتازت كبدهُ وكليتهُ معاً ولم ينتج عنها سوى تطبُّل جزئي ونزول كمية قليلة من الدم مع البول. ويمكن ان يقال ان جروح البطن تسير سيراً حسناً ما لم تكن قد تعددت او يكون قد مضى مدة طويلة على الاصابة قبل ان عولجت . ومن الغريب ان اصابات البطن عديدة جداً وقد صعب على اولياء الامر معرفة اسباب ذلك حتى ان اسيراً قال ان بعض قواد البوير امروا جنودهم ان يصوّبوا رصاصهم الى بطون اعدائهم ظناً منهم ان اصابات البطن اشد خطراً من غيرها ومن امثال اصابات البطن اصابة سمسون الذي اصيب برصاصتين في بطنهِ انتهت بالتهاب بريتوني قبل ان يصل الى معسكرهِ وكانت سبباً لوفاتهِ وعند الكشف وُجدت فتحة دخول رصاصة على ثلاث عقد اسفل السرة وفتحة اخرى في اعلى الحافة الحرقفية اليسرى ظنَّ الاطباء انها فتحة خروج الرصاصة المشار اليها وكان على القرب منها جسم صلب متحرك ظنوهُ شظية عظمية فصلت من حافة العظم الحرقفي ثم ثبت دخول رصاصتين في قسم البطن احداهما ذلك الجسم الصلب الذي حسبوهُ شظية عظمية وقد دخلت هذه الرصاصة من الفتحة التي وجدت قرب السرة وثقبت القولون من غير ان تمس الامعاء الرقاق ووقفت حيث وُجدت واما الفتحة التي وجدت قرب الحافة الحرقفية فهي فتحة رصاصة اخرى وجدت في تجويف البطن ولم تكن فتحة خروج كما ظنها الجراحون اولاً

وقد عدل الاطباء حديثاً عن العمليات الجراحية في اصابات البطن النافذة على قدر الامكان للاسباب الآتية وهي

(١) ان اكثر اصابات البطن تنتهي بالشفاء بلا عملية

(٢) ان الفتحة التي تنتج عن رصاص موزر في الامعاء صغيرة جداً ويتم شفاؤها بالتصاقها بثنية مجاورة لها من الامعاء

(٣) انهُ يصعب على الجراح الشروع في هذه العملية متى كانت المياه قليلة لا تكفي للنظافة المطلوبة كما هي الحال في جنوبي افريقية

(٤) ان الاصابات قد تكون متعددة وبليغة الى درجة لا يرجى معها شفاء بالعملية

اصابات الحبل الشوكي النادرة

كلما سُرَّ الجراحون بتقدمهم في معالجة اصابات اعضاء الجسم وتوصلوا الى وسائط تخفف عواقب الاصابات المختلفة وتمنع الطوارئ زادوا يأساً واسفاً لفشلهم في معالجة اصابات الحبل الشوكي. واهم ما لوحظ في هذه الاصابات سرعة التقهقر حتى انهُ في احوال عديدة تظهر القروح على العجز بعد يوم او يومين كذلك الالتهابات المثانية تظهر في وقت قصير ويصل المصاب في ثلاثة اسابيع او اربعة الى حالة شديدة من التقهقر لا تشاهد في المستشفيات الملكية في الاصابات الناتجة عن اسباب خارجية الاَّ بعد مرور اشهر حتى ان اصابات الحبل الشوكي صارت تدرج مع الاصابات الميئة التي لا يرجى منها شفاء. ولاتمام الفائدة انقل بعض تفصيلات من هذا النوع. أُصيب واحد في واقعة ماغرسفونتين برصاصة في ظهره دخلت على محاذاة الفقرة السادسة بعيدة اربع عقد عن الخط العمودي القاطع للظهر وخرجت من الجنب الآخر من نقطة تقابل نقطة الدخول فسببت شلل الاطراف السفلى مع فقد الاحساس ولم يمضِ زمن حتى ظهرت القروح على العجز ومراكز أُخرى وتوفي المصاب بعد حصول الاصابة بثلاثة اسابيع مع ان الجرح الخارجي التأم بسهولة. ولدى البحث وجد كسر في الفقرة وشظية منها لا يتجاوز حجمها حجم الحصة دفعت الى داخل تجويف العمود من غير ان تمزّق الام الجافية وكذلك شظايا أُخرى ذات اطراف حادة أُصقت السحايا بالحبل الشوكي كما بسامير

وفي بعض الحوادث التي مرت بها الرصاصة قرب الحبل الشوكي من غير ان تمسهُ ظهرت اعراض تشابه ما يحدث من اصابات الحبل الشوكي ولكنها لم تلبث بضعة ايام حتى تحسنت حركة الاطراف وعاد جزء من الاحساس ويمكن ان ينسب ذلك الى تأثير الانسكابات الدموية. وعلى كلٍ فالجراحة قاصرة عن ايجاد العلاج المفيد لهذا النوع من الاصابات

اصابات الاطراف

من الآفات العصبية التي تحصل على اثر اصابات الاطراف النافذة اولاً زيادة الاحساس في الطرف المصاب. ثانياً حدوث اعراض عصبية عميقة حينما لا يقطع عصب ويمكن ان ينسب ذلك الى رض اصاب العصب من مس الرصاصة لهُ اثناء مرورها. وذكر تريفس ان آلة اشعة رنتجن وصلت متأخرة فاستعاض عنها بالمسبر التليفوني وهو دقيق الدلالة جداً